

حقيقة « وثيقة تبرئة اليهود »

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

المستشار اللاهوتي لنبطة البطريرك الماروني
والخبير في المجمع الكوني الفاتيكاني الثاني

- ١ -

توطئة

كلمة الكنيسة كلمة حق . فهي ان ضايقت شاعرنا فلاننا لا ننظر اليها نظرة الكنيسة نفسها . وبالتالي فان هذه المؤسسة الالهية التي اعطاها - ولها وحدها - السيد المسيح مكوّنها السلطان لتأويل كلامه واعماله حياة للبشرية ، لا يسوغ لانسان مها علا مقامه ان ييكتها او ان يصلح ما قالته ، والروح القدس دوماً يسير خطواتها نحو الغاية الوحيدة : خلاص البشرية واعطاؤها السن القويمه لانارة الطريق . فلا السياسة شاغلها ولا الدول تحتل مركزاً في اهتمامها . الا بمقدار ما في ذلك من خدمة للانسان ومن تقيم حياته ومساعدته على الانفلات من ربكة المادة الى عالم الروح . فالسياسات تضمحل والدول تنتضي والكنيسة باقية صامدة امام الاعاصير والاضطهادات . فهي هي في حياتها تفتش على ممر العصور عن الطريقة المثلى لا يصلح البشارة الروحية الى من افتداهم الاله للانسان بدمه الذكي غير آبهة في ذلك لما ينجم عن عملها من صعوبات وعراقيل .

تاريخ « الوثيقة »

سنة ١٩٦٢ في آخر اول جلسة المجمع المسكوني عرضت على الآباء مسودة « الوثيقة » هذا عنوانها : « اليهود » . فلم تكن تتكلم الا على القرابة الروحية القائمة بين اليهود والمسيحيين من خلال الوحي الكتابي في المهدين القديم والجديد ، وكأني بالمعهد القديم التربة التي منها نبت المعهد الجديد ليكمل لا لينقض ، او قل التربة التي فيها تتأصل جنور المعهد الجديد .

وقد زادت « الوثيقة » على ذلك ان اليهود كُشِب، وان قام عدد منهم وقتلوا المسيح: ليسوا هم المخرمين السفاكي الدماء. ان المسيح مات فداء عن خطيئة العالم ونور الذي دلّ عليه يوحنا بقوله: « هوذا حمل الله الذي يحمل خطيئة العالم » - والدم الذي سكبهُ هو لخلاص البشرية جمعاء التي قتلتها بِخَطيئِتها وباهانتها الله - وقد تمثل الاجرام تاريخياً بما صنعه اولئك اليهود الذين صلبوا ابن الله. فليست افعالهم اعمال الشعب اليهودي وليس اجرامهم لبيد شعباً بكامله. فمضى الصليب اوسع من ان يكون اقترفته زمرة من اناس تستسلمهم الاهواء لاقتراب ما يبئذه العقل وتدينه العاطفة الانسانية.

هذا ما ارادت ان تقول الوثيقة في شكلها الاول.

كان احد الاكبريكيين انكار من السكرتيرية التي تعنى بوحدة المسيحيين قد طاف على سفراء اندول العربية واطلعهم على نية الكنيسة الدينية البحتة وأكد لهم ان ليس وراء ذلك من مبطنات ولا من سوء نية. وألح عليهم بابداء الرأي فقالوا اذا كان الامر دينياً بحثاً فليس لنا ان نتدخل في شؤون المجمع. وما ان عرضت الوثيقة تلك على آباء المجمع حتى حبت البلاد العربية مؤكدة ان لتلك الاقوال نتائج وخيمة سياسية الا وهي تقوية اسرائيل الصهيوني في اعماله التعسفية. وربما قادت تلك الوثيقة يوماً الى الاعتراف باسرائيل كدولة مستقلة.

فأجابت الكنيسة بصوت الكردينال « بيا » ان ليس لها ثمة نية سياسية في الوثيقة. فارادتها محض دينية. طرحت الوثيقة على الآباء وطلب اليهم ان يبدوا الرأي في عنوانها وشكلها وفحواها. وكان السفراء قد صادقوا عليها مبدئياً بانهم لم يروا فيها بادئ ذي بدء ما يقض المضاجع وما يحرم العين من التوم. مضت سنة وعرضت على آباء المجمع خلال ١٩٦٣ مسودة اخرى للوثيقة تغيرت عنوانها فصار « اليهود وغير المسيحيين » تحتوي على ما جاء في الوثيقة الأولى. انما زيد عليها بعض الشيء عن الدين الاسلامي اذ قالت: « الاسلام يؤمن بالاله الواحد وله من مواقفه الروحية عاطفة دينية صادقة ».

افضى الآباء بملاحظاتهم وصرنا الى السنة ١٩٦٤ وما كانت دهشتنا عندما عرضت علينا صورة ثالثة للوثيقة تغيرت فيها العنوان فصار: « صلة الكنيسة بالاديان غير المسيحية ». وتغيرت فيها المقدمة او بالحري زيدت على الوثيقة وتقول: « البشرية واحدة على اختلاف العناصر والاديان اذ خلقها الاله الواحد، والمشاكل التي تعترى قلب الانسان اياً كان هي هي: ما هو للانسان وما معنى الحياة وما هو الخير والشر، وما هو الموت والثواب والعقاب بعد الموت؟ وما هو ذلك

السر الذي يكتنف الحياة منه صدرنا واليه نعود ؟
وزيدت ايضاً على هذه الصورة الثالثة للوثيقة كلمات جميلة على الاديان
التي تفتش كلها عن جواب لمشاكل الانسان وحيرته امام الطبيعة وامام عقله
فتقول : « ان الهندوسية تسبر غور الفلسفة والمخيلات الدينية كي تخفف من
وطأة الحياة على البشر فتدخلهم في جو حياة تشفية وفي تأملات عميقة وفي
فزع الى الله بحب وثقة علمهم يربحون قلوبهم . اما البوذية فانها تلج على الانسان
بترك هذا العالم الفاني وبالعودة الى الزهد والانفلات من الدنيا كي يعيش في
صناء وراحة دائمة » .

اما الاسطر القليلة عن الدين الاسلامي التي نجدها في الصورة الثانية للوثيقة
فلقد توسعت هما وتعددت فيها العتائد القرآنية : الايمان بالاله الواحد . الحي :
التيوم : التقدير على كل شيء . خالق السماء والارض : المتكلم مع البشر :
الذي يفرض الطاعة لأوامر ارادته العلية . فابراهيم سار في طاعة كلية وبإيمانه
يشترك الاسلام . والدين الاسلامي ، وان لم يقر بالوهمية عيسى فانه يحمله كنبى
ومحترم امه مريم البتول ويستشعنها مراراً . ويعلم الناس ان ينتظروا يوم النشر
عندما يجازي الله البشر حسب اعمالهم . اذ عليهم ان يكرموا الله خاصة بالصلاة
والزكاة والصوم . والمسلمون مجدون وراء حياة اخلاقية فردية وعائلية واجتماعية .
واذا ما كان التاريخ يطلعنا على بعض الشرقة والعداوات التي حدثت بين
مسيحيين ومسلمين فان المجمع المقدس ليحرص بكل ما في وسعه كي تنسى
الايام الماضية ويعبر تفاهم متبادل صادق لتقوم بين البشر عدالة اجتماعية ،
قيم اخلاقية ، سلام ، حرية .

بعد هذين المقطعين اللذين ضمنهما الوثيقة مجال تعبير وعمق تفكير تنتقل
بنا الى الكلام على اليهود : « ان الرباط وثيق الذي يربط شعب العهد الجديد
بابناء ابراهيم » . فالكنيسة تعترف أن ايمانها ودعوته يتأصلان في آباء العهد
القديم وفي موسى والانبياء وأن دعوة ابراهيم تشمل ابناءها الذين هم ابناء ابراهيم
بالايمان (غلاطية ٣-٧) ، وان خروج الشعب المختار من ارض العبودية يرمز
الى خلاص الكنيسة . فهو شعب العهد وعلى جذع الزيتون تظمت اغصان
الزيتونات البرية التي ترمز الى الوثنيين (رومانين ١١/١٧-٢٤) والمسيح الاله
قد صالح اليهود والوثنيين بواسطة صليبه وجعل منها شعباً واحداً (افس
١٤/٢-١٦) اذ هو سلاستنا . فمن صلب اليهود كان الرسل اعمدة الكنيسة
وأساسها ... وبيننا العدد الكبير من اليهود لم يقبلوا بالانجيل فان الله ، على حد
قول الرسول (رومانين ١١/٢٨-٢٩) لا يزال يحيمهم ، اذ انه لا ينلم على ما

صنع... ولذا فان الصلوات عديدة بين المسيحيين واليهود وعلى التريقتين ان يتعارفا ويحترم بعضهم بعضاً. وبما ان للاثنتين ثروة يتناساتانها فان اجمع المقدس يرذل الحقد والاضطهادات اللاحقة باليهود ان في ما مضى من الزمن او في الاوقات الحاضرة. فلا تعليم منذئذ ولا وعظ يكون في قلوب المؤمنين حثداً على اليهود او ازدراء بهم. فلا يجوز ان نعلم ان الشعب اليهودي لعنه الله وغضب عليه وهو هو المجرم بقتل ابن الله. فما حدث يوم تألم المسيح لا يحق لنا ان نعت به الشعب اليهودي المعاصر للمسيح نفسه ولا الشعب القائم في ايامنا هذه اذ مات الاله الانسان بجل ارادته (أعطي حياتي كما اريد واسترجعها ولا احد يأخذها مني) وصوره محبة شاملة للبشرية كلها وينبئ نعم لمن اراد.

في مقطع اخير نوسع الوثيقة آفاق التنكير وتعطينا بعض الومضات عن التفرقة العنصرية التي يرذلها اجمع اياً كانت ان تفرقة عرقى او تفرقة لون او تفرقة ثروة او تفرقة اسياذ وعبيد ويطلب الى الجميع ان يعيشوا في سلام ومحبة كأبناء أب واحد الذي في السماء.

هدف الوثيقة

كان المجمع قد اعد بين ما دياً من المسودات واحدة تتكلم على موقف الكنيسة امام العالم فتلقي نظرة شاملة ودقيقة على مظاهر العالم القائم وتعطي رأياً فيها وتبدي موقفها امامها او صلها بها. فهناك امور عديدة على الصعيد التشريعي (صلة الشعوب بعضها ببعض) او على الصعيد العائلي (الزواج والنسل) او على الصعيد البشري (الحرب والسلام والتنبلة الذرية) او على صعيد الثقافات المختلفة الخ... فكان اذآك من حق الكنيسة ان تقول كلمة عن صلاحها بالاديان التي تسيّر الانسان نحو هدف حياته. فعرضت الوثيقة التي نحن بصدددها مؤكدة ان ليس فيها من هدف سياسي وان ارادتها ان تكون بينها وبين المجموعات الدينية الاخرى رباطات دينية واجتماعية تخير العالم بأسره. ولذا فلم تعرض الوثيقة لاحكام عقائدية على الاديان انما اعطت النموذجات العملية والراعية المستمدة من الوحي الالهي والتي على المؤمنين اتباعها كي يتمموا واجباتهم كؤمنين. والحالة هذه فكيف نستطيع ان نلصق بالكنيسة وبهذه الوثيقة بالذات تهمة العمل السياسي؟ كيف نتجاسر ان ننسر نيات واضحة كهذه تفسيراً مغايراً للحقيقة؟ كيف نضيق المنطق عندما تسود الاهواء وتعرف العاطفة اللاعقلية؟ تريد الكنيسة في وثقتها هذه، وهي تعيش في عالم يسير نحو الوحدة بخطوات

سريعة : ان تعود الى الارادة الصمدانية الاولى التي بها اراد الله البشرية واحدة ، ومنها الى العمل على تقريب القلوب والعقليات بابرار ما في الاديان القائمة من قيم روحية واخلاقية تقدم سداً منيعاً في وجه الاحساد والتي ان دلت على شيء فبني تدل على انعكاسات الحقيقة الالهية الواحدة في مختلف الثقافات والعبادات .

ولذا فالانسان يستمد كرامته من ابوية الله نحوه ولا بد له اذالك من ان يعود ويعيش تلك الكرامة بمحبة الاخرين يلتفتون جميعهم على صعيد واحد ، صعيد الاخوة التي لا تنضم عراها وصعيد السلام حسب قول الرسول « ان امكن فسالموا جميع الناس قدر ما تستطيعون » (رومانين ١٢/١٨) .

الخطيئة الاصلية وصلب المسيح

في المعتقد المسيحي ان الخطيئة التي ارتكبتها آدم بمعصية الله هي التي شاركتها بها ويشاركتها بها كل ابناء البشرية اذ يولدون في الخطيئة وفي الاميال الى الخطيئة وفي حال سخط الخالق عليهم . فآدم ابو الجنس البشري كان قد اعطي من الله نعماً لم يستند منها فخرها وبخسرتها سبب لنفسه ولابنائه تعاسة وحقداً في معاطاتهم المتبادلة .

خطيئة اصلية واحدة تنعكس اصداؤها على نسل آدم وابنائهم كلهم .

ولا ترضى الكنيسة بتقليدها ولا بالروحي الذي اتمنت عليه بخطيئة اصلية ثانية . فالبيد المجرمون الذين صلبوا المسيح لا تعبر خطيئتهم وجرمهم بقتل الاله الانسان الى ابائهم . فهم هم الخونة والمجرمون ، يعملون وجرمهم مسؤولية الجرم . او نقول ان الشعب الالماني بكامله مجرم لان هتلر والنازيين انزلوا في الملايين من البشر عذابات همجية وفضلعوا بهم وتكلوا ؟ او نقول ان العائلة الفلانية غريبة عن الاخلاق العالية لان واحداً من ابائها خرق العهد وسار في التهلك ؟ الى ما هنالك من الامثال .

انما علينا ان نبدي هنا رأي علم اللاهوت ؟ فاذا ما صلب اليهود المسيح وكانوا المجرمين الاوحدين فما دوري انا في صلبه وما نفعي من موته ؟ ألم تكن خطيئتي سبباً من اسباب الصلب ؟ او لا تلخني خطيئتي في سر النداء اوتوي من دم المسيح واغسل نفسي من ادران الجرم ؟ او اظل خارجاً عن سر الفداء ارى اليهود يصلبون للمسيح وكان المسيح لم يموت الا لان اليهود افترسوه وعذبوه ؟

مقال عن « المصلوب »

اراد الله في بدء الكون ان يولد الانسان طاهراً فاغلق عليه النعم ليعيش بارادته وحرية حياة برارة وسلام مع ضميره ومع خالقه ويعود دوماً الى سماع كلام الله في اعماقه فيقوم بما هو عبادة صادقة. فما كان من الخليفة الا ان عنت خالقتها واحانتها فمن يخلصها ويهدئها سواء السبيل؟ من ينأى الله ويحمده ولكرامته اذ الانسان اكر الجليل وفضل الالتصاق بالارض على المكاملة المستمرة مع مبدع الاكوان؟

تلك الحرية التي كلل بها الخالق الانسان خلقته ما معناها وما معنى الله نفسه اذا كانت صورة او شكلاً لا طائل تحته واذا لم يعطها الله الا ليستعبدها؟ تما الله بمعرفته الالهية الازلية يعلم ان تلك الحرية لن تسير في الصواب وانها ستضل الطريق. وما هي معرفته تلك التي تجرف الانسان الى الخطيئة. فالمعرفة السابقة التي هي ميزة الخالق ليست زمنية لتعكس تطوير الحرية وتحمل مسؤولياتها: انما هي في حاضر دائم ترى الامور وتترك للبشر ان يتحملوا عاقبة الشر الذي يصنعون او يتقبلوا جائزة الخير الذي يفعلون.

فلا تمثيلية اذاً ولا « كوميديا » كما يقول صاحب المقال عن « المصلوب » الصادر في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤ ، الذي كنت ذكرت اسمه لو كان ذكر هو اسمه في مقاله .

ففي تلك المعرفة الازلية التي في ازليتها لا تعاكس الحرية في تطويرها الزمني احب الله ان يعطي للخطيئة مخلصاً وللانسان فادياً فكان التجسد وكانت الآلام المبرحة وكان الصليب وكانت القيامة من بين الاموات. الصليب كان ليس فقط ليخلص الانسان من استعباد الخطيئة ولكن ليعيده في الوقت نفسه الى خالقه ، ليريه وجه ابيه وليكون بين الخليفة وربها صداقة واللغة وموانة جديدة. فالخطيئة كانت اذاً الجرم الاكبر والخطيئة كان المجرم الاكبر الذي صلب المسيح . وتلك الخطيئة وذلك الخطيئة استعملا اليهود ليمثلا المجرمة على الجلجلة . فكانوا آلة الخطيئة .

او لم يعلم الله ان اليهود سيصلبون المسيح ؟ نعود فنقول : ان يعلم الله ان فلاناً سيخطئ ليس ذلك العلم ولا تلك المعرفة اللذان يتودان الانسان بجمعة قاسية الى ارتكاب السيئات والتهور في المعاصي فمعرفة الله لا تخلق الشر والله خير هو لا شر فيه . ومعرفة الله ومحبه للبشر لا تفرضان على حرية الانسان ان تقترف الجرائم قسراً . فان تم ذلك ففيه هلم الدين واهانة الخالق والتزول به الى صعيد البشر . فاية فلسفة روحانية واي دين يرضى بان يكون الخالق

في دور انسان مع انسان؟ حسب قول الرسول: « لان غير منظوراته قد ابصرت منذ خلق العالم اذ ادركت بالمبروءات ... استبدلوا مجد الله الذي لا يدركه الفساد بشبه صورة انسان ذي فساد ... » (رومانيين ١/٢٠ و ٢٣). ولذا فاننا لم نجد في المقال المذكور عن « المصلوب » الا جملة صدق فيها صاحبه وهي: « نحن نجعل اللاهوت » ولم يترك لنفسه العنان اذ غاص في بحر اللاهوت وفضل السبيل. فهناك امور دينية وعقائد تفرض الرهبة والاجلال لا يحز لاحد ان ينظر اليها نظرة اللامبالي ولا نظرة الدنيا التي تفرغ العقيدة من ميزتها الدينية لتصير شكلاً فلسفياً ليس الا. وقد قال ماسينيون: « لن يفهم الدين الا من كان صاحب دين ولا يستوعب عقيدة الايمان الا المؤمن ».

بجبر بعض رجال الصحافة الاكارم ان يتركوا ما لا يعنينهم. فالمواضيع التي لم ان يهتموا بها واسعة الارجاء عديدة فلا يحق لهم ان يثيروا المشاكل لتقلق الضائر وان لا يحترموا المعتقدات ايا كانت. فهم ان تمكروا اذ انوا انفسهم وان ارادوا ان يلقوا شعاع العقل على امور تفوق العقل يكونون كمن يريد ان ينظر الى الشمس من خلال نظارات سوداء تخفف من قوة الشمس ولا تتال من حقيقتها. فالكرامة ميزة الانسان العاقل. ومن الكرامة ان لا يعني الانسان الا بما هو قادر على استيعابه وان يسكت ويبعد في قرارة نفسه الى ان ينال بنعمة الله وصفاء الضمير ما يؤهله الى خوض بحر الالوهية. وعلى كل منا ان يصفو الى الداخل وان ينقي الاناء ليصير اهلأ اكثر فاكثر للدخول في مؤانسة الله ومكالمته حسب القول المأثور: في كل منا وثني يعود الى الله رويداً رويداً والكمال للخالق وحده.

تثبيت الوثيقة

عرضت « الوثيقة عن اليهود » على آباء مجمع للتصويت في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٤ فنالت ١٦٥٧ صوتاً يعاكسها ٩٩ ويمتنع عن التصويت ٢٤٢.

التصويت في المجمع على ثلاث صور: تصويت مبدئي كمي يرى الآباء اذا كانت الدروس التي تعرض عليهم صالحة لتؤخذ اساساً للبحث والمناقشة. وتصويت ثانٍ وهو: بعد ان يكون الآباء قد اشبعوا الدروس تلك تمحيصاً وتقدماً، ان يصوت على اقسامها واجزائها وفصولها. وفي النهاية تصويت ثالث على تلك الدروس بكاملها. فيها ما يكون قد احبه الآباء في بعض فصوله ويرفضونه ككل. ومنه ما يكون قد رضي عنه الآباء ويكون الرضى كاملاً مع طلب بعض الاصلاحات الشكلية والفكرية.

فالتصويت على الوثيقة التي نحن بصددها لم يكن الى الآن الا مبدئياً.

والوثيقة صالحة في نظر الآباء لتكون أساساً للبحث في الدورة الرابعة لسجيم المسكوني الفاتيكاني الثاني .

فمن يستطيع التكهن بمستقبل الوثيقة بعد جدال ومناقشة الآباء وهم لا يسترحون في درسها الا صوت الضمير والتعاليم الالهية عن المحبة وعدم الرضوخ للثغرة العنصرية اياً كانت : ومن يستطيع ان يعرف من هم الآباء انذين صوتوا للوثيقة والذين صوتوا ضدها . فاسماءهم تحفظ بين الوثائق السرية . هذا اذا سارت الامور في مجراها الطبيعي العادي .

ولكن هناك طريقاً آخر وهو ان يستعمل قداسة البابا بولس السادس سلطته انعياً للتدخل في امور اجمع - وقليلاً ما استعملها واستعملها ليترك للآباء حرية المناقشة وخاصة في نقطة محض دينية - ويطلب الى اجمع ان لا تعترض الوثيقة تلك من دروسه .

ولذا فالمطلوب من كل من ينظر الى اجمع المسكوني ليوقف على مقرراته ان ينظر اليها نظرة الآباء انفسهم لا حسب ما يريد ان يحمل الافكار والكلمات والصيغ من اهواء شخصية ونيات لم تختار بيال اجمع .

هكذا اليوم وهكذا كان. فعندما ظهرت رسائل الباباوات بيوس الحادي عشر وبيوس الثاني عشر وبيوحنا الثالث والعشرين في المشاكل الاجتماعية اخذ اصحاب رؤوس الاموال يتسجون كانهم رأوا بام العين ان الباباوات يدينون الاشتراكية يأخذون برأي اصحاب العمل . وكان الاشتراكيون المتطرفون يهللون لانهم لقوا في تعليم الكنيسة ما يدحض كلام واعمال ومواقف ارباب العمل والمتمولين - انما تعليم الكنيسة هدفه احترام الانسان واحترام معتقده والسهر على راحته الفكرية والادبية والجسدية لكي يصغر عقله لعبادة الله خالقه : ويسير بين صعوبات الحياة وآلامها الى خلاص لن يعطيه اياه الا من اقتداه بدمه الذكي .

ولذا فالمطلوب ان ندخل في نية الكنيسة لا ان نغير الكنيسة نياتنا فهذه المؤسسة الشيخة الفتية تنكر بالامور ملياً قبل ان تعرضها على بحث الباحثين اذ هي تحترم الناس ولا تريد ان تغلق راحتهم بهذيان بشري . رائدها السلام : رائدها الاخيرة : رائدها العدل والمحبة والتضام بين ابناء البشر .

خاتمة

ان الكنيسة التي تريد الانفتاح على العالم اليوم اكثر مما مضى من تاريخها - لم تكن يوماً منكمشة على نفسها وعائشة في حجر مغلق - تريد ان تقول

للاديان انها تحترمها وتبجلها وتستخلص من كتبها العقائد التي لها القيمة الكافية لتحسين الانسان في حياته الفردية والاجتماعية . وهي في هذا الانتاح تريد مكاملة الاديان كاديان والخيرين من ابناء تلك الاديان : اولئك الذين يؤمنون بان عليهم ان يعودوا الى الله وان يسمعوا كلامه والهاماته وان يسيروا بعاطفة عبادة صادقة نحو تكريم الخالق الذي له الملك ابدًا .

لا يحق للكنيسة ان تعيش في اللامبالاة وعدم الانتباه الى ما يدور حولها من مواقف دينية عميقة ومن صرخات قلب تنوق الى الاعالي . ففي تلك المواقف وفي تلك الصرخات قيم على الكنيسة ان ترى كيف تكون بينها وبين مراقبتها الروحية وعقيدها وما ينتج منها من خير للإنسان من صلة امينة صافية لا غبار عليها ولا غش فيها . اذ ان العالم في سيره نحو الوحدة لني خطر ان تخفق عاطفته الدينية - وهي اساس حياته - منسطات وترهات فلسفية الحادية تريد تحت ستار خلاص الانسان قتله واستعباده . فاذا ما اشتركت الأديان كلها في خدمة الروح وتسلط القيم الداخلية على عبودية المادة ساد الوفاق وانتصرت المحبة الحقيقية .

- ٢ -

مقدمة نص الوثيقة .

« في عصرنا الحاضر حيث تتزايد وحدة الجنس البشري وتزدور العلاقات بين الشعوب المختلفة تنظر الكنيسة بقلق الى الديانات غير المسيحية .
 « الأم كلها تكون جماعة واحدة لها اصل واحد اذ الله اعطى الارض مكاناً للجنس البشري ، وما غاية واحدة وهي الله الذي تفسر الجميع عنايته ومظاهر عقله واحكامه الخلاصية الى ان يجتمع اختارون في المدينة المقدسة التي ينيها بها الله وحيث الأم تسير بنوره .
 « ينتظر كل الذين ينتمون الى ديانات مختلفة جواباً على مشاكل حياتهم البشرية الحقيقية التي تقلق قلوبهم في اعماقها : من هو الانسان ، ما معنى وما غاية حياتنا ، ما هو الخير وما الخبيثة ، ما هي الطريق المؤدية الى السعادة الحقيقية ؟ ما هو الموت والديتونة والتوابع بعد الموت ؟ وما هو ذلك السر الاول والآخر الذي يفرق كل كلام والذي يفسر وجودنا ، منه خرجنا واليه واجمونا . »

عندما تلقي الكنيسة نظرة على مشاكل الحياة او على امور لها في تطوير الانسان احمية كبرى تخلق وكأنها الى الله تعود فنتسني من وجه نوراً ومن كلامه قوة للمؤمنين . نظرة الكنيسة ولا نظرة النسر وتحليتها ولا تحليتها النسر . فان لما في كلام الله ما يغنيها عن فلسفات الارض واحكام الحكماء وان عادت اليها مرات لتساندها ان هي راققت الانسان في تقييم حياته او لتلخصها ان هي عبت بالكرامة الانسانية وآلت بها الى الاستعباد . فالكنيسة تقطف الثمار حيث

تبعدها ، تملأ بقول رسول الأمم : « مهما يكن من حق او عفاف او عدل او طهارة او صفة محبة او حسن صيت ان تكن فضيلة او مديح فني هذد فلتكن افكاركم » (رسالة الى اهل فيليبي ٤-٨) . وفي هذا التشنج خدمة للانسان الذي تهديه الكنيسة سواء السبيل الى غاية حياته الله .

ففي ايماننا هذه حيث التطور الصناعي والآلي في اضطراب دائم وحيث تتوسع ارجاء التقنية وتترايد اكتشافات العقل البشري ولا تردهر فيه محبة الانسان لآخيه الانسان ، تفرم الكنيسة فتدعو الاديانات كلها الى وضع قيمها الروحية والاخلاقية وقيمتها الثقافية والاجتماعية في خدمة الانسان اذ هو في خطر جرح . لا جوع الجسد فحسب ولكن ذلك الذي ينزل بالانسان الى دركات المادة والآلة . جوع النفس التي تلتصق بالارض ولا تعود تعرف لون السماء .

...

في مقدمة البيان الذي اصدره المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عن صلة الكنيسة بالاديانات غير المسيحية والذي أقرّ باكثرية ١٦٩١ صوتاً نستطيع ان نستخلص افكاراً ثلاثة هي محور ما في بقية النص من اعتبارات شتى .

الفكرة الأولى

تنحس الكنيسة حياة العالم فتتردد في جوانبها اصداء افراحه وآلامه لتؤلمها او لتفرحها وتحمّلها الى ان تجد لها الجواب الوافي وهو من صلب رسالتها . فالكنيسة ليست بمجتمع كسائر المجتمعات . هي مؤسسة الهية اعطاها السيد المسيح الاله الانسان القوة كي تجمع البشرية كلها في ملكوت الله . فلا لون لما ولا سياسة ولا غاية سوى ان تحمل للشعوب : من اي لون كانوا او الى اية سياسة انتموا او الى اية غاية ساروا ، بشارة الانجيل ، بشارة الفرح لانهم كلهم ابناء الله . هي اذاً مجتمع روحي انساني . فيها من خصال مؤسستها ان تتفوق على الزمن - وان كان اعضاؤها بشراً - وتحمل رسالة الروح حينما حطّت رحاها دون محاباة ولا مداورة . تتحمل الاضطهادات وتعيش فقيرة ، وتستطيع ان تدخل بيوت الملوك والباطرة وهي هي لا تتغير ، تعطي البشارة ولا تهاب احداً ؛ تعظ ان ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ؛ وان الانسان اخو الانسان وان على الجميع ان يعيشوا في سلام وطمأنينة وتكاتف مستمر اذ هم ابناء الله . فلا اسل لهم سوى خالقهم ولا حياة لهم الا به ، وفي الانسان من اميال واهواء لتطوح به لولا عودته الدائمة الى صوت ضمير في نبراته كلام الله وحبته وقوة سلطانه . وبعد

ان عصى الانسان الله افتداه المسيح ابن الله بدمه الذكي ليمحو خطيئته وليعيد الى قلبه احترام ومحبة مجد الله في بقوة امينة صافية .

فبينما الشعوب اليوم يرنو بعضهم الى بعض ، وبيننا آلات الاتصالات الاجتماعية كالاذاعة والتلفزة في حرب دائمة لتكون بين الأمم وحدة فكر ووحدة فلسفة تهب الكنيسة - ولم تكن يوماً بعيدة عن اسداء الرأي بقوة في رسائل رؤسائها وكتب لاهوتيينها وعن الانتصار للبادئ التي تحترم الانسان في معتقده وضميره - وتجمع رؤسائها حاملة في كل منهم مشاكل منطقية من الارض والآم شعب وافراح شعب لتقول كلمتها الفصل في هذا السير نحو الوحدة وهذا التزايد من الصلات الاجتماعية . واول ما بدا لها ان تتساند في هذا العالم القوي الروحية الى حد بعيد اذ لا يجوز للديانات ان تظل منفردة متعاسة تحدم الانسان في مواقفه الروحية فحسب . عليها ان تنير الضمائر البشرية لتسير بين تقلبات الدهر وعنومات العقل الخائر نحو مجتمع افضل يسود فيه الروح الذي يحيي الجسد ويحيي المجتمع وبدونه تتفكك اواصر الاخوة واواصر المحبة والصدقة . فاذا ما فكر انسان اليوم ان باستطاعته ان يعيش على الارض في فردوس ونعيم بعيداً عن متطلبات نفسه ومتطلبات وجدانه وقد اغلق عليها الباب فعبثاً يصنع . فالضمير لا يموت الا يموت الله والله ابدى في يده الحياة والموت .

يعيش انسان اليوم في تخدير جسدي وفي اللاوعي ليستيق يوماً فيرى ان الحياة خاوية فارغة اذ الآلة التي فيها اماله وتمنياته لا تسد جوعاً ولا تروي عطش انسان خلق ليتسلط على الآلة لا ليستعبد .

يعيش انسان اليوم في كبرياء وطموح . انما ذلك الكبرياء وذلك الطموح يضمانه الى الارض ، والكنيسة تريد انساناً اعظم من الارض ومتفوقاً عليها بتلك القيم التي اثنى الله عليها عندما كوَّنه بمقدراته الشخصية ليصير بين تقلبات الزمن نحو غاية خلاصية لا تغنيه الارض عنها الا وهي خلاصه الابدي في رؤيا الخالق وسعادة لا تزول - فطموح الكنيسة اوسع واعظم من طموح انسان اليوم لنفسه .

والحالة هذه تخاف الكنيسة على الانسان من تضيق الآفاق وتخاف على البشرية جمعاء من وحدة تقللها ، وحدة تقوم اساسها على بعض مسنطات فلسفية او على مبادئ تحصر الانسان في ارض تزول وفي آفاق لا نور فيها . ولذا ، والوحدة الحقيقية من معطيات الوحي ومن غايات الفداء ، قامت الكنيسة وازادت ان يدوي صوتها في عالم ، وان ابتعد فيه عنها كثير من الناس ، يظل

في حين امين الى المبادئ التي تصرخها من اسماق ضميرها وحياتها . الا نذكر ما كان لرسالة يوحنا الثالث والعشرين « ام ومعلمة » من اصداء ، ورسائله « سلام على الارض » من ترديدات خيرة في قلوب المجتمعات والشعوب . فالوحدة التي تدير نحوها الأمم هي من صلب رسالة الكنيسة التي لا تنفك تعلم ان الله خلق البشر كلهم وان المسيح الاله افتدى البشرية كلها بدمه الذكي وتعلم ايضاً بعد بولس الرسول ان جسد المسيح السري واحد فيه يلتقي الاخوة وفيه لا تضع شخصية الافراد بل تتكون وتزدهر وتنمو . فكل من عاش فيه استمد قوة وزاد قسمة : لا كمن ينخرط في حزب لا ديني اذ يسيطر الحزب على تفكيره وعلى حياته بصير آله في يده وتعيب عنه شخصيته وتتوارى قيمه الروحية في خدمة لا يعلم مصيرها .

الفكرة الثانية

لن نركز وحدة الشعوب الاعلى اساس واحد وهو الله خالقها وغايتها . فالشعوب كالانسان الفرد ليس لما سوى اصل واحد وهو الله وغاية واحدة وهي الله . فان سارت على طرق الحياة لن تجد راحة وطمأنينة الا في الله والمبادئ الروحية التي تنها لما شريعة الهية فيها صفاء وفيها محبة وفيها اخوة وفيها تكاتف في الآلام والافراح الى ان يجتمع الكل في حضرة الله في امان وجور لا يزولان . فلا معنى للحاد اياً كان ، عملياً او عقلياً . انرد الخليفة ، مادية او عاقلة ، الى قوة غاشمة هي مبدأ الاكوان ؟ او يرضى عقل سليم بذلك ؟ انقول أن مبدأ الخليفة قوة غير شخصية ، قل الطبيعة او ما فيها من قوى تطوير وتبديل ؟ او يرضى الانسان ان يتأصل في مبادئ هو اكبر منها ويدينها ؟ انردد ان مبدأ الحياة هو الحياة بالذات او لقاء ذوات بعضها ببعض كوتت العالم ومنذئذ تطور وصار الى ما هو عليه ؟ وما هو ذلك اللقاء وما هي الحياة تلك ، ينبوع ما نتج منها ؟ انقول مع بعض فلاسفة الالمان ان السؤال عن مبدأ الحياة لا معنى له ولا معنى للسؤال عن غاية الحياة . فعلياً ان نجيا ونموت وهذا هو المشكل بالذات . ولكن ما العمل ؟ فالعقل لا يرضى الا بفهم من هو والى اين يذهب الانسان وما معنى حياته ؟ او نجد في الحلولية حلاً لمشكلة الوجود ؟ فكيف اصير الى الزوال في قوة لا شخصية تنوب معاملها تحت ستار القوة الخالقة ؟ اذ كيف يضمحل الانسان في ذلك الكائن الذي فيه تنصهر الكائنات كلها لتكونه على حد قول بعض الفلاسفة .

والحالة هذه . كيف تستطيع الشعوب ان تدير نحو رحلة اجتماعية وثقافية

إلّم نفع لذلك أساساً مكيناً حر الله؟ فعلى الكنيسة ان تصرخ من اعماقها ان لا وحدة الا بالخالق وان تدعو الديانات الاخرى لتقوم بايمانها وبما ينتج من ايمانها من قيم روحية سداً منيعاً في وجه الالحاد الذي وان انتصر زماناً فانه الى الفشل سائر . يفرض السكوت على انسان اليوم ويكث ضميره وبقيد حرته الدينية ولكنه لا يستطيع ان يقتل الضمير الا اذا توصل فقتل الله، «انما الساكن في السماوات يضحك والسيد يستهزئ بهم» (المزمور ٢-٤) .

وإذا ما انكر الانسان مبدأ المطلق الخالق السرمدي او يستطيع ان ينكر غاية حياته؟ نعم . ولكن ايرضى الانسان بالسير نحو الانحلال والزوال وكيف يكون ذلك وروحه تنفوق المادة وتجعله يعيش في جو تمكبر وتأمل وسؤولية لا تلجج المادة ولا من هو دون العقل .

او تنهبي الحياة في ضحكة هزء وتخزية ام في شؤم فكر؟ وما الفرق انذاك بين كرامة الانسان ومن هو دونها؟

ولقد زال ذلك الجدال الذي تعثرت فيه الفلسفة في اواخر القرن التاسع عشر واولئل الجيل العشرين اذ كان بعض الفلاسفة يقولون ان الروح ليست الا مظهرًا عالياً من تطوير الجسد والمادة . فكيف نستطيع الروح ان تنبت على جذع المادة ومن اين للمادة تلك القوة ان تعطي ما ليس من كنهها؟

تقوم الكنيسة لتدحض هذه الاقوال كلها ومعها الديانات الاخرى والفلسفات الروحانية فتقول : ان الله اغدق على الخليفة من نعمه اغزرها ومن عطاياه احسنها : عنابة ، عطفاً وارادة خلاص يقول النص الذي نحن بصدده .

في سير الانسان على هذه الارض تعثره مشاكل وخاوف يتسلط عليها لو فكر بعناية الاب السهاوي تسانده وبعظنه الفياض وبارادته الخلاصية . فلا تشاؤم بعد ذلك ولكن قوة وعزماً يحملان الانسان الى الامام في تزايد دائم وتصاعد واضح .

يستطيع الانسان ان يعتمد عن خالقه بأثمه وخطيته وبذلك يدين نفسه . انما الله يدغدغه بنعمه طوال حياته ويوقظه من سباته ويعود به الى الطريق طالما فيه نسمة حياة وعرق ينبض . ولذا فالانسان في هذه الحياة مغمور بنعم الله لو فكر ، ومغمور بعطاياه لو اتبه . وما ارادته تعالى الا ان يجمع الأبناء كلهم في المدينة المقنمة حيث يكون الكل في الكل ، لو سار الكل في طاعة وكرامة .

الفكرة الثالثة

مشاكل الحياة ، وهي كثيرة ، تجد الحل الصافي في العودة الى تلك العناية

الآخية . مشاكل الانسان على البسيطة هي هي ولن تتغير : اصل الحياة وغاية الانسان ومعنى الحياة : معنى الخير والشر : العقاب والثواب بعد الموت . انما مشكلة المشاكل : ما هو الموت وما هو معناه ؟

كلها مسائل يطرحها الانسان على عقله الحائر وينتظر الجواب ولا فلسفة تعطي اجواب الوافي اذ تنف أحد موقفين . موقف الحائر الذي يقر بان هذه المشاكل ليست من صلاحياته او موقف الثائر الذي تنكسر شوكته على صخرة الغائب بعيد مطأطي الرأس متشائماً . انما الايمان يفتح الباب على مصراعيه ويكشف الافاق النيرة ويساعد الانسان في التغلب من يد الله التي اوجدته الى حياة تحملها اليد نفسها الى المم وفرح الى حير وشر حسب حرية شخصية هي شرف الانسان ومجده وهي ايضاً سبب تعاسته اذا ما وحينها الترجيح السيء الى موت اي الى العودة الى الوطن الحقيقي (اولم يقل الغزالي : ان هذه الحياة هي حلم يفتق منه الانسان في الحقيقة في الابدية ؟) فتكون السعادة او العقاب ؟ انما تلك اليد التي منها خرجنا واليها نعود هي يد عناية الهية لا تتركنا ولا تشاركنا فتظل تحملنا وتهدينا السبيل الى ان نعصي ارادتها فنتركها وتبقى تحرك فينا عواطف الندامة ودموع التوبة بالألم او بالفرح فنعود نشاركها الحياة وهكذا دواليك الى ان تفتح امام ناظرينا معرفة اسمى واقوى لذلك الذي لا يتفك بتقرب منا وتبعد عنه اذ هو في الداخل اعتم من اعماقنا وفي روحنا اسمى من قمة الروح . فالحياة مأساة نخوض فيها معركة : شئنا ام ايئنا ، لا معركة سيف ولا معركة مال ولكن معركة اسمى وافضل ، معركة الروح وانتصارها على المادة : معركة الروح التي نحن دوماً ، وان انزلت من نضال الكرامة ، تروى بها الى ما يغذي فيها التوق الى عل ويسد فيها الفراغ الذي تحببه وان امتلأت من الخروب الذي تأكله الخنازير (انجيل لوقا ١٥-١٦) .

فلهذه المشاكل تطلب الكنيسة من الديانات ان تعطي جوابها وان تحرص على تكاتف بنينا مع من يؤمنون بالله وبالقيم الروحية لخير الانسان .

خاتمة

الى هذه الاعالي يقودنا المجمع الثاثيراني الثاني عندما يريد ان يحدد صلة الكنيسة بالديانات غير المسيحية . الى هذه الاعماق من التشكير والتأملات يسير بنا عندما يريد ان يقول كلمة الحق في تلك الصلة .

كانت الوثيقة عن اليهود في صورتها الاولى ، كما قلنا في ما سبق ، مزمنة ان تكون ملحقاً لما سيقوله المجمع عن وحدة المسيحيين وصارت الوثيقة في صورتها

الثانية والثالثة بين الظهور على حدة او بين ان تكون ملحقة لما سبقه انجم
عن الكنيسة من الوجهة العشائدية . فابن للسياحة من محل هنا وابن للمطامع
الدينيوية من دور؟

ليست الكنيسة أمة او شعباً من شعوب الارض . الكنيسة هي مؤسسة
روحانية زمنية تتجسد في الشعوب وفي الامصار المختلفة حاملة معها بشارة سامية
ووسائل تحقيقها بحجة وصفاء خدمة للانسان في سيره نحو الهدف . فتجتمع
ولا تفرق ، تهدي ولا تضلل ، تسمو بالانسان ولا تذلل : تعطيه من كثرها
جدداً وعتقاً ولا تركه محتاجاً يعرضه العوز . الكنيسة تحيي ولا تميت .

— ٣ —

نص القسم الأول من « الوثيقة » = « الديانات غير المسيحية المختلفة »

- « نجد منذ القدم عند أمم مختلفة بعض الادراك لتلك القوة الخفية الحاضرة في سير الأمور
« وتقلبات الحياة البشرية ، نجد بحفاوة ومرات عديدة معرفة الالوية المعلقة ومعرفة الآب [الساوي] .
« ولقد جربت الديانات التي ترتبط بتطور الثقافات ان تجيب على هذه السؤالات بمفاهيم دقيقة
« وبلغة شذبة .
- « في الهندوسية يسير الانسان غور السر الالهي ويعبر عنه بغزارة اساطير لا ينضب منها
« وباجتهادات فلسفية نافذة ويفتش عن التحرر من ضيق الحياة بطرق تشفية وتأملات عميقة
« وبالفرع الى الله بحجة وثقة .
- « أما في البوذية فتعرف الى انقعان الجندري الذي يعترى هذا العالم المتقلب وتعلم الطريق
« التي بها يستطیع الانسان ، بروح نقية ورائقة ويزده وتطهير مستمر ، التحرر من الأمور
« العابرة والتوصل الى راحة ثابتة .
- « وعلى هذا المنوال تسير سائر الديانات المرسودة في العالم كله . فانها تترى بصور مختلفة
« حيرة تلب الانسان وتعرض عليه طرقاً ابي عشائرية او وصايا تدبر الحياة وبخاصة طقوساً مقدسة .
- « فالكنيسة الكاثوليكية لا تردل ما في هذه الديانات من حشيقه وقسمة . فهي تبشر بلا ملل
« بالمسح الذي هو « الطريق والحياة » (يوحنا ١٤ / ٦) والذي به صالح الله كل شيء معه . وبينما
« تعلم ما في العالم من استمدادات متعددة للخلاص فانها تحترم وتقدر طرق المسح والحياة ، تحترم
« وتقدر الوصايا والعتائد التي وان اختلفت في امور كثيرة سماهي عليه في الديانة الكاثوليكية تنكس
« نور تلك الحقيقة التي تنير كل انسان .
- « تحت الكنيسة ابنامها الى مكانة اتباع سائر الديانات والى انكشاف مهم والى ان يحفظوا
« مع احترام كمال ايمانهم الكاثوليكي ، تلك المبادئ الروحية والاخلاقية الطيرة وبخاصة تلك التي
« الاجتهادية الشافية المرسودة حنم وان يسروا بها صيداً » .

بيننا مشاكل الحياة التي عدناها مع « وثيقة » انجم المسكوني تجندل الانسان
ارضاً وتركه في حيرة وارتيك فان العقل البشري خارجاً عن وحي الهي ينير الطريق
يفتش عن جواب بين طيات الطبيعة وثنايات الفلسفة لينهض بالانسان الى

جوداً حدوداً وأماناً سهوياً عليه العيش . وأول ما يصل إليه إدراك قوة لا يتحدّد
 كنهها ولا تُكتشف صورتها ، تُهيمن على البشر ، تسيطر عليهم ، تسيّرهم
 وتخلص بهم إلى الموت ، قوة خفية يهابها الإنسان ولا يتزعج إليها في صعوباته ،
 يعبد إليها كل ما يعترض أوقاته وحياته ويجعلها مسؤولة عما يصدر في العالم
 من خير ومن شر . فإذا مرض فكّر أن المرض عقاب وإذا نجح ظنّ أن النجاح
 مكافأة . فليس له مع تلك القوة من معاطاة شخصية ولا تتسم بامارات الحياة
 والسلطة الواعية . فلم تتكلم في التاريخ ولم تظهر نحو الإنسان من عطف وعناية
 ما يجعلها في نظره الميناء الأمين . فبات عبثاً على اكتافه يروح تحته مرآت
 ومرآت يقبله ويجد فيه مساندة على سلوك طريق الخير والخدمة . وهو يعلم
 حتى العلم أنها ترقبه وتسهر على خفواته وستطانه وعلى آماله وأعماله الخبيرة
 وما من سبيل إلى معرفة إرادتها في التوجيه نحو هذا وذاك . فبييت الإنسان في
 ولّه وبنام على خوف ونبهض وهو إلى بعض الأمل مائل وهكذا تنتضي
 الأيام إلى أن يغوص في لجّة اللاوعي . إنما يرى أيضاً أن هذه القوة الدور
 الكبير في « تسيير الأمور وتقلبات الحياة البشرية » وكأنّ لها سلطاناً لا يردّ .
 ولكنّ الإنسان في تطوره الفلسفي الروحاني لا يقف عند هذا الحدّ إنما
 يصل به التفكير المنطقي إلى أن تكون تلك القوة مطلقة لا يعترها انحلال ولا
 يضيها عجز . فهي آذاك الألوهية بالذات التي تفوق التفكير وتسانده ، تسيطر
 على الحياة ولا تنقضها ، تسيّر الأعمال البشرية ولا تجبرها . فالتم تكن كذلك
 فما من معنى لتلك القوة التي يستطيع الإنسان برقيّات أن يستعملها إليه أو أن
 يُبعد خطرهما عنه . فالألوهية مصدر الاكوان وغايتها ، هي السبب غير
 المسبّب ، فيها تجد الخلقية معناها وإليها مألماً إذ المادة وإن علت والعقل البشري
 وإن سما لا يستطيعان أن يفسّرا للإنسان من هو وما أصله وغايته فيظل حائراً
 مرتبكاً إلى أن يُعطيه الإله من توره قبساً يهتدي به في الطريق .

لا يزال الإنسان طوال حياته - وهو لا يستطيع الاستمرار في أجواء
 علوية - يميل إلى الأرض وفي قلبه جرح كوّنته الخطيئة . يرى الإله بعيداً
 عنه ، يتخبّط في صعوبات وآلام ، يناجي من فوقه ويشعر أن في تلك المناجاة
 راحة وصفاء ولكن لا ينفكّ يلمس أن الألم مبرّح وأن آفاق الدنيا ضيقة وأنه
 لا يتحمّس الإله دوماً ، إنما لا يستطيع الانفلات منه وضميره يصرخ أن العودة
 إلى الباطن خير حيث الإلهامات الصحيحة والتوجيهات النيرة وحيث يشعر
 الإنسان أنه بدون الإله متروك على الأرض تائه وإن طالّت يده الثروات وامتلأت

خزائنه ذهباً وأن الحياة بدونه مجرد كلمة. فتطيب له اذآك المكاملة مع الاله ولكن ليس له الى ذلك من سبيل فيقف في عقله حائراً ويتساءل لم الاله بعيد هكذا : أليس له من صفات البشر الصفات المطلقة ، أليس فيه ما في البشر من خير وبصورة مطلقة . فكيف نرى الابوة البشرية بعظمتها ومحبتها وحنانها تحتضن الأبناء وتسربلهم بالعطايا ولا نرى ذلك في الاله . ولم لا يكون ذلك الإله اباً ايضاً : للانسان معه من الصلات الودية والمواقف الشخصية الأمينة ما يُتملى وحدته وبئر انفراد وخلوته على الأرض . وهكذا يتوصل العقل بالتشابه والمقابلات الى استدراج الأمور نحو وضوح اكبر يتجاوب وتفكير الانسان المتره عن كل غاية انانية وعن كل أثره ؛ يتجاوب ومتطلبات ضميره واعماق سريره .

فلا حياة للانسان بعيداً عن العطف والحنان ؛ وفيه علاوة على عقل يرنو الى الحق المطلق ارادة تود أن تستريح في الخير المطلق ما دام فيها حياة . فهي تتألم من العزلة والانفراد في هذه الدنيا ولا تجد في المخلوقات كلها ما يسد جوعها وتوقها الى خير تعود اليه اذ تظلل حائرة الى ان تثبت فيه . ففي الآب الذي يكتشفه العقل سبباً للوجود يجد الانسان من يفرغ اليه في كل آن ومن في حنايا قلبه عطف يهدئ روعه فيسير والأمل يوجهه سعيه وراء الهدف . وكيف يستطيع ان يقف في الخاد يبلو جريمة الانسان ضد اخيه الانسان اذ يريد أن يترغ من عقله وارادته ما هو عقله وارادته بالذات فكلامهما لا يحددان الآ بالحق والخير ويريد الاحاد ان يلقمهما خبز الارض وخروب الخنازير .

ليس في قدرة العقل ان يتجاوز هذه الحدود . فمن ادراك القوة الخفية الى الالوجية قال الآب سير صعب يسهل على من تحلى عن كبريائه وانثبه لصوت داخلي يردد متطلبات الروح في اسمي صورتها واعمتق نبراتها . فالحقائق التردية والخيور الأرضية وان اسكت العقل والارادة مرة ومرة تدكي فيها دوماً نار العظموح الى ما فيه الخير المطلق والثبات الأمين .

ولذا فعندما تعرض الديانة المسيحية على الانسان ، كبيراً وصغيراً ، مشفقاً لوجاهلاً ، غنياً او فقيراً الوحي الالهي الذي من كنهه ان نطلعننا على ابوة الاب الذي يحبنا ويعطف علينا ويماشنا ويسير معنا طريق الحياة هادياً وساهراً ومغنداً النعم ، مصغر الخيور وغاية الوجود ، عندما ينبتنا ذلك الوحي الى ما في قلب الآب من حنان ومن سعة بخران ورحمة ، عندما يردد ان الآب ذاك

يأخذ ابناؤه ويدغدغهم بعطاياها كما تأخذ الأم ابناً الى خديتها بمحبة لا توصف . اذ ان يزور العقل الى محبة كذلك والى حقيقة تتجاوب ومتطلباته الداخلية وتفوقها بصورة مطلقة . ولكن الاندخال يتزايد عندما يعلم ان تلك المحبة الالهية تجسدت باين الله وهو الطريق والحق والحياة بالذات وليس من حقيقة او حياة الا به اذ هو كلمة الآب ، فيه ما في الآب من قوة الهية ومن مجد الهي ومن مطلق الهي . متساو للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء . اتى الى الارض ليعلمنا ما كنا نسيناه ان الله ابونا وليصالح الانسان مع الآب السماوي فلن يدركه يعاني من حقيقته امر النتائج وأنعس الأحوال . عنايته لا تنطفئ وبركته علينا الى مدى الدهر نستقي من ينبوع حنانه نوراً وقوة وعزماً ومن سر محبته اللامتناهية في اتقربان المقدس قوتاً وغذاء لرسالة احياة بين البشر ولتوحيد القوى في السير نحو الغاية الوحيدة: اللقاء في ملكوت الله في رؤيا لا نهاية لها وفي فرح لم يرد عين ولا سمعت به اذن ولا خطر على قلب بشر . (رسالة بولس الاولى الى اهل كورنثس ١٢/٩) .

وهذا اللقاء يبدأ على الارض في كنيسة اسمها وهي عنوان محبته : فيها يلتقي الاخوة : اعطاها سلطانه واقامها وحدها مكمله لرسالته بين البشر مرشدة واعظة مؤتمة وفاقحة ينبوع نعمه لمن يريد ، تهدي الى الحق المطلق وتشرك في الاله مؤسسها كل من اراد ان يعطي طموحه معنى .

والمسيح الإله أعطى كنيسته روحه القدس المنبثق من الآب والابن ، الواحد معها في الجوهر : ليسهر على نموها وليقبها انزلاق الغلط والضلال فيو يسيدها في كل حقيقة لخير الانسان ويقدي فيها محبة هي بمثابة حيوية تحملها على الكد والجهود وراء الوصول الى البشر كلهم لتعطيهم من رسالتها فيضاً لا ينضب وغزارة نعم تظل على ممر العصور رمزاً فعالاً لقداسة تشهد لنفسها بالعجائب والمعجزات . وهو هو الروح القدس الذي يعطي البشر : في حكمته الأزلية ، عقلية المسيح إلى درجة لا يستطيعون العيش الا بعد ان يحددوا موقفهم بالنسبة اليه . ولا عجب اذا قام الفيلسوف الروسي دوستوفسكي يقول : « مشكلة الحياة واحدة وهي موقف الانسان تجاه المسيح : معه او ضده . ولست ثمة مشاكل غير هذا المشكل الأساسي . فلسفات العصر وخزعبلات العقول الطامعة الى الأرضيات والى الاقتصاديات تود ان تربط الانسان بالارض كأنه بطن عليه ان يملأه من خيرات الارض لاعقل لن يسكن روعه وتهدأ وحرجه الا في من يعطيه الحق المطلق والخير المطلق .

انتى للعقل أن يصل وحده الى هذه الاعالي وان يسبر غور هذه الحقائق لولا الآب بكرمه وعظمه احبّ الانسان فأعطاه ابنه فداءً عن خطيئته وسيطاً أميناً للعودة الى الصواب وروحه كي يرافقه في ارض هزتها الخليفة فسودت آفاقها ليعيد اليها نوراً فقدته واستقامة حياة خسرتها.

انتى للعقل أن يبتدي وحده بدون نعمة الله وكلامه الخلاصي وتواضع الخليفة الى طريق الحق هذا . انما ما أعطاه الله للانسان من مقدرات يجعله « يبصر غير المنظورات منذ خلق العالم ويدركها بالمبروءات وكذلك القدرة الازلية والالوهة حتى انه لا معذرة له » على حد قول رسول الأمم في رسالته الى اهل رومة ٢٠/١ .

الهندوسية

لا يقوى الانسان على تحديد كنه الاله المطلق بمفاهيم عقلية محضة . فالجوهر الالهي يفوق الكلام وكل ما يستطيع الانسان ان يحمله من المعاني فيستعين للتعبير عن وجود الله وصدق حياته الداخلية بصور ترك للعقل العنان في التفوق على حدود الكلمة والمفهوم فيكون للمخيلة اذالك الدور المهم في تسهيل الخوض في بحر الالوهية . هكذا صنع افلاطون في التعقل الاخير من كتاب « الجمهورية » عندما توسع بسرد قصة « اور الارضي » الخيالية ، وهكذا صنعت الهندوسية ايضاً . ولن يفكرن احد ان ليس للتقصص والاساطير تلك في نظر الفللفة او الدين من حقيقة . انما يستعملها العقل لتسانده في مد النظر وراء الآفاق الأرضية الى ما هنالك من حقيقة روحانية ثابتة لن يقوى على بعثها كاملة حياة . فالهندوسية هي الشكل التوحيدى للدين الشعبي حيث كرىشنا وفيشنو وسيثا وراما والاله براهما وغيرهم من الآلهة من الطبقة الأولى يعتبرون كظواهر مختلفة للاله الواحد الشامل فيصحّ اذالك ان تجتهد في ايجاد التعابير الصحيحة او القريبة الى الصحة لتفي ذلك الاله حقه مما يتطلب من الخليفة من استسلام كلتي ومن وحدة صوفية كاملة . إذ كيف يستطيع ان يعبر العقل بمفاهيم جافة عن وحدة الوجود وعن الاله الذي ليس بذلك الخالق القريب والبعيد في الوقت نفسه عن مخلوقاته والذي تتكلم عليه التوراة ولكنه ذلك السبب الاول الذي منه يصلح العالم واليه يشهي فيغوص في الاله ولا يعود له كيان شخصي ، قهرع اذالك الهندوسية الى الاساطير تشرح وتفسر وكأنها سلماً به تتسلق درجات الألومة .

واذا كانت هذه الطريقة العقلية للتوصل الى الاله فان للهندوسية طريقة

تملية لذلك وهي ان يعود الانسان بنواتر الى التأملات والتششّف . يحصر نفسه عن العالم ويترك خزعبلاته وبعيش في عالم صحيح صادق . والمعروف ان التششّف يطهّر النية ويخضع الجسم لطموح النفس وتتكوّن وحدة اساسية بين الروح والجسد هي الوحدة التي ارادها الخالق . انما الانسان يفرّق ما جمعه الله بانتباهه الى الخارج والعاير وبعدم عودته الى الداخل حيث انخلاص . ولقد تتوصّل الهندوسية الى درجة من التششّف لا معنى لها سوى هذا الخلاص الى الاله وفي ذلك تسلك طريق وحدة الوجود . فالحياة ليست سوى التميرين الصحيح على الولدح في بحر الالهوية الذي هو من اسس الدين حسب الهندوسية . وهذا التششّف الإرادي يعود الانسان الى نكران هذا العالم والى ان ليس ثمة من قيمة لعسل البشري لتطوير الامور . فالهندوسية لا تعرف الا العشرة والمتطلّبات التي تفرضها على الانسان . واذا ما شئت بعد ذلك لتقييم العمل الاساني في الحياة فتمي ذلك ثورة على ما مضى من مبادئ فلسفية أرسوقراطية وثورة على ما قيل من نكران هذا العالم . وفي الحالين يظلّ التوجيه الروحاني الاساسي نحو المبدأ الاول .

البوذية

اول ما بدا لبوذا من مشاكل معرفة التخلّص مما يدعونه التتمّص او تلك الولادات العديدة التي لا نهاية لها . فأنسى للانسان ان يخلص من هذا الألم . فلا للتششّف والمبالغة في الامانات الجسدية من أهمية وليس للتمتع بالحياة من مساعدة جديدة . فالتنعج الوحيد في العودة الى روحانية اصفى وأعمق . ففي الرهد الباطني لا في الاعمال الخارجية جمال وخير الحياة .

نقى بوذا وجود كائن مطلق واقرب بوجود آلهة وما هم الا عابرون كالانسان وإن سموا فلا عناية لهم بالانسان وليس له من واجبات نحوهم . ولقد توصّل بوذا الى نكران النفس الشاملة والنفس الفردية وعلم تلاميذه ان الحياة كلها ألم ، وان العالم لا يعطي الفرح الحقيقي وزاد : « الولادة ألم والشيوخوخة ألم . المرض ألم والموت ألم . الوحدة مع من لا نحب ألم وفراق من نحب ألم وعدم الوصول الى ما نشتهي ألم » . والحياة ليست ألماً الا لاننا نشتهيها وما التتمّص سوى نتيجة تلك الشهوة . فاذا اراد الانسان ان يتخلّص من ذلك الألم فما عليه الا ان يظني فيه جذوة الشهوة وارادة الحياة . وعندما يصل الى هذا الموقف يدخل في التيرقان ولا يعود يتتمّص . والتيرقان هي تلك الغبطة التي يلجها الانسان ولم تعد روحه تتحمس نفسها ، هي الراحة الدائمة بعيدة عن كل هم وشوق وتوق .

لقد ادخل بوذا الشفقة في فكرته عن الحياة . وإن هي إلا ان يرنو الانسان الى الألم الذي يحتمله صاحبه دون ملل ولا انقطاع . فطلب اذالك من رهبانه ان يكون لهم امام الحياة موقف عطف . وهناك ما قاله لهم : « ايها الرهبان اليكم ما يجب عمله : لا يضطرب قلبكم من شيء . لا تفوهوا بكلمة سوء . كونوا رحماء واصحاب عطف وقلب محب دون خداع . فليحصل عطفكم الى كل فرد من افراد البشرية وبهم يصل الى الكون بكامله ، صافياً من كل حقد وضغينة » . فما من تجمع القوى الروحية المم يهياً العقل الى ذلك . فلا تأمل بدون تمارين روحية تطهيرية . ولذا فالتنقي القلب والمملوء عطفاً هو ذاك الذي يستطيع الإهد بالدنيا . ومن وصل الى هذا دخل في الدرجة الرابعة من الرويا وكان له ان يرى حياته بكلها في ماضيها عبر العديد من الولادات التي مر بها . والدرجة الرابعة تلك هي ان يسهر الانسان بكل ما فيه على السلام الباطني ولن يقترب منها إلا اذا عاش فضائل ثمانية : ايمان طاهر ، ارادة طاهرة ، كلام طاهر ، عمل طاهر : حياة طاهرة ، توقي طاهر ، تفهم طاهر ، تأمل طاهر . والعمل الطاهر ليس سوى الامتناع عن العمل السيء . ولقد قال بوذا : ثري الافراح والحمر من الاحزان من ليس له عزيز في هذا العالم » .

من وراء هذا الموقف يتراءى دوماً نكران العالم . ولكن كيف يستطيع بوذا ان يوفق بين هذا النكران وبين الحياة العملية التطهيرية . فاذا رفض للاعمال قيمها يظل في السلبية الغير البناءة انما ارادته الأساسية هي الكمال الباطني . وفي هذا فرق جذري بين تعليم بوذا وتعليم المسيح الاله يهيمن على سائر الفروق ما بين الاثنين : فبينما بوذا ينكر العالم ويميز بين العالم المادي والعالم الغير المادي : يأتي المسيح الاله ويرذل العالم الطبيعي السيئ ويعيش في انتظار تبديله وتغييره في عالم فائق الطبيعة كامل . فاذا ما أنكر المسيح العالم فانه يستند الى مثل عالٍ على الصعيد الأخلاقي يحرك العالم ذاك الى قمة الجمال والخير .

ولذا ، وان دهش من دخل في اعماق البوذية واعتراه العجب امام عظمتها وقوتها الروحانية الكبيرة في تاريخ البشرية فانه يشعر بالفرق الأساسي الكلي بين سكياموني والمسيح الاله . واذا ما تعمق في هذا الفرق صار الى تفهم الحدث المسيحي الفريد . فللمسيح موقف امام الحياة لا يجاربه فيه احد : وهو وحده البله المطلق للحياة الانسانية في ايمانها ورجائها ومحبتها . واذا ما قلنا هنا فلا تنكر ما بين المسيحية والبوذية من الشبه يعجب له العقل . فهناك نصوص وكأنها مقتبسة الواحدة من الأخرى . ولكن العجب يزول عنهما يرى العقل النتائج التي آلت اليها الديانتان اذ التناوب الكلامي لا طائل تحته وهو سطحي ومبهم .

والكلام في الاجواء المختلفة يحمل بين طياته ثروة روحية تنسرها العنقية والروحانية والوضعيات الاجتماعية المختلفة . وما علينا الا أن نأخذ مثلاً يردّد هنا وهناك المفردات عينها انما تحمّلها الأجواء هنا وهناك المعاني والتوجيهات العديدة المغايرة .

من بين التشابه والامثال التي استعملها بوذا والتي تنبى عن ارادة تعمق وتفكير لا يتوصل اليه العقل مثل شجرة الحياة التي ضمنها المعاني الثرية :
فالشجرة ترمز في البوذية الى الانسان الذي عليه أن يجمع قواد الروحية فيعود الى الباطن لارواء عطشه اذ يغوص في لجج الرجود ولا يعود يابه لتطور الكون او للتكاتف مع الانسان احمه وينقطع عن الدنيا برهد او قل بموت إرادي فيه روعة وفيه عظمة

اماً في المسيحية فالشجرة ترمز الى الحياة التي تنبع من قلب الله وتترك الانسان بحيرة تسمو قواد الطبيعية وتفوده الى الخلاص . فهي تارة شجرة الحياة وتارة شجرة الألم اغلّص ، وشجرة الأمل والرجاء وشجرة الاسرار ، منبع النعم والبركات .

لا فرق في البوذية بين شجرة الحياة وأية شجرة أخرى اذ انها تنبت وتحميا في عالم من العوالم العديدة .

اماً في المسيحية فشجرة الصليب وحيدة لا تجارها شجرة اخرى وهي نور وهي امل واليها يستند الانسان رأسه فتأنيه بالتعزية وتفوده الى متابعة السير حثياً آمناً . فانه لا يحمل الألم وحده انما يشترك هو بألم من خلّص العالم على خشبة الصليب التي حملت شمس الحقيقة وخلص البشر .

في البوذية يغوص بوذا ببحر اللاشخصية ويندوب في الكيان الشامل ولا تعود معالمه واضحة ثابتة .

اما في المسيحية فالمسيح يسود الكون وتظل شخصيته الواضحة الإمارات جاذباً قوياً ، يسوع الناصري ، انسان واله الى الأبد ، في يده الاكون وفي قلبه محبة صافية وخلص العالم . فهو محور العالم ومحور التاريخ ، لا نقطة في مسافات ارضية ، هو الحدث الوحيد الذي به وبالانصال به تفهم الحوادث الأخرى : هو قمة الروح ، هو الجبلجة ، هو الذبيح الذي اظهر من التواضع حتى الموت ما يبهز العقول ويجعلها مدى الأجيال في تأمل أمين وارادة التمثل به لا تشوبها شائبة . ولقد ركّز صليبه هناك ، ذلك الصليب الذي عليه دارت

المعركة الكونية بين روحين وعقليتين وارانيتين، فكان بالموت انتصار الروح وبالموت انتصار الله . وكان الخلاص .

هذا شيء من كبير مما يتعلّق بالبوذية .

موقف الكنيسة الكاثوليكية

فالكنيسة الكاثوليكية تذكر هاتين الديانتين وتُحترم ما فيهما من حقيقة وقلسيّة وتردد ان كل حقيقة : ابنا وجدت : انعكاس الحقيقة المطلقة الازلية ، حقيقة هي المسيح الاله بالذات : كلمة الآب والاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس . ذلك الاقنوم الذي تجسّد محبة بالبشر ومكث بينهم واعطاهم الحياة التي كانوا خسروها بالخطيئة . فعلى ابناء الكنيسة حيث وجدوا ان يتكاتفوا للخير مع اهل الخير خدمة لخير البشرية المتألّمة والتي تريد ان تفرسها إلحادية عمياء . ففي تلك الديانات مبادئ روحية واخلاقية ، ثقافية واجتماعية اذا تلاقت مع ما يحويه الدين المسيحي من قيم عالية ومبادئ بناءة كانت حاجزاً امام الالحاد وسنداً للانسان .

- ٤ -

نصر القسم الثاني من « الوثيقة » : « المسلمون »

« تتدرّ الكنيسة ايضاً المسلمين الذين يمدون الاله الواحد الحي التبريم انصابت الكل . خالق السماء والارض ، الذي كلم البشر والذي لأوامره الصداقية تجب الطاعة التامة كما اطاعها ابراهيم . ذلك الذي بايمانه يتصل الايمان الاسلامي . فان المسلمين يكرمون المسيح كنيي وان لم يعرفوا به كاله ويعجلون امه مريم البتول. ويطلبون مرات شفاحتها بتقوى. ينتظرون يوم الدينونة عندهما يجازي الله الذين يقويون من الموت . وبعد ذلك فانهم يكرمون الله بالصلاة والزكاة وانصوم ويعتقدون وراه حياة اخلاقية فردية وعائلية واجتماعية طاعة لله .

وإذا ما قامت في ما مضى من التاريخ بين مسيحين ومسلمين تفرقات عديدة وهدايات فان هذا المجمع المقدس يحضر المسيح حل نيران الماضي وعمل الاجتهاد الصادق للتناهم المتبادل وهل ان يسهروا في خدمة الكل على اعداء الاجتماعية والمبادئ الاخلاقية الصحيحة وبجامة السلام والحرية وان يسروا بها صعداً » .

حفظ التاريخ ذكر المناوشات العديدة والخلافات الكثيرة التي قامت على ممر الايام بين المسيحيين والمسلمين . ولقد آلت كلها الى تصلّب الموقف عند التريبيين : الى الخوف المتبادل والى اللامبالاة العقائدية في خير ما في الديانتين فتحجرت القلوب الآ عند العمد اليسير وكأن المبادئ الروحية التي تشترك فيها

الافتتان لا قرابة بينهما ولا حير من التكاثر في أقرارها والاستناد إليها في محاربة الأفكار أخذامة إلى أن قام منذ سنين قليلة عدد من الرؤساء الروحيين بينهم البابا بيوس الثاني عشر وغيره ينادون بضرورة العمل الموحد في سبيل دحض خطر المادية الطاغية . وما هو المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في « وثيقته » الماثورة يدعو إلى نبذ الحقد ونسيان الماضي والعودة إلى التفكير والتأمل على المسبيين والمسلمين يعملون في المستقبل القريب والبعيد على تقييم المبادئ الروحية الموجودة عندهم فنكون سبب تكاتف وتفاهم وعمل جدي .

ولا غرو فالجميع يستخلص من العقيدة الإسلامية عناصر طيبة فيها قرّة روحية صادقة على الكلّ أن يفهموها ويأتمروا بما تسنه لهم من تعاليم فيرق الماديات ومن سير في طريق خلاص الإنسان من ربقة المادة وعبوديتها . وفي سرد هذه العناصر غيرة لمن اعتبر .

تقول الوثيقة أوّل ما تقوله ان المسلمين يعبدون الإله الواحد القيوم الضابط الكلّ خالق السماء والأرض . فهو إذا إله شخصي لا تضع شخصيته وراء فكرة مجردة أو سلطة غاشمة أو استبداد تعسفي وإنما ينظّم الكون ولا يدعه في فوضى ، يوجه الإنسان نحو غايته السامية : يسانده في أعماله الخيرة وبدونه لا تستطيع الخليقة أن تأتي بحركة إذ يتسلط على الحرية ويوجهها ولا تعبد فيه إلا الإله السرمدى المتّرة الذي لا اشراك فيه والذي صفاته لا تُحصى . فاذا ما تكلم أمر وأمره مطاع ، إنما يرأف بالإنسان في عظمتة وحقارته .

فالإنسان يسير في هذه الحياة وقد اثقلت كاهله حتمية الأيام ويندق في اختبار حرّيته الإسلام لله ويتعلّق به بإيمان على شبه إيمان إبراهيم الخليل الذي آمن وتبرّر بالإيمان . وبهذا ترى الصلة الوثيقة التي تربط المسلم ، اليوم كما والبارحة ، بإبراهيم وبالله .

إيمان المسلم يتغذى من كلام كتابه الديني ، القرآن ، فيجد فيه ذكر الله والأسس الدينية الأصيلة ومن بينها احترام أهل الكتاب ومحبة التقير . فيستوّر المؤمن في التأمل ويقف ملياً عند بعض الكلمات - الحقائق التي تهديه إلى الله وتشعل في قلبه عواطف التواضع والاستسلام يعود بها إلى خالقه ويعرض عليه ما يضايقه من مصائب وهو يعلم أن كلّ هذا من الله صلر ومن الله نبع وهو خير للخليقة .

في الإسلام عودة إلى عيسى بن مريم وإلى مريم بالذات . يحترم الدين

الإسلامي عيسى ويعتبر نبياً إنما لا يُقرّ بالوهيته وإن تعددت المفاهيم التي تنبّه العقل الى سمو عيسى فوق الانبياء اذ هو من روح الله على حدّ قول القرآن نفسه . إنما تأتي السورة ١١٢ وتؤكد الوجدانية الالهية بمفهومها الفردي التي ترذل من اللوحة كائناً من كان لتضع الإله في انفراد كلي وتتره مطلق غير ذلك الذي يفهمه الدين المسيحي اذ يتكلم على الثالوث وقرّ بوجدانية انطبعة الالهية وتثليث الاقانيم .

والإسلام بكرّم عيسى النبي كما بكرّم سائر الانبياء إنما يعطيه في القرآن من الميزات ما لم يحظ بها نبي غيره : تلك الولادة العجيبة وتلك القداسة الفريدة وتلك الخوارق والمعجزات التي احترحها .

لقد كون عيسى أمة الكتاب يحترمها أهل القرآن اذ القرابة بين المسيحيين اتباع عيسى والمسلمين بيّنة واضحة ولذا فلا يجوز ، اذا ما هبت في التاريخ عواصف وأعاصير فرقت بينهم ، أن تدوم تلك الشرقات . وعلى الفريقين ان يبذرا كل حقد ويعودا الى حكمة وانصاف ويتكاثرا في التنشيط عن العدالة الاجتماعية والمبادئ الاخلاقية الصحيحة وبخاصة عن السلام والحرية . إذ أنك تنمو في المبادئ التي تقرب بين الفريقين أخوة نحن بحاجة اليها اليوم : أخوة مبادئ صحيحة تحدم كرامة الانسان وحرية فلا عبد ولا معبود ولا سيد وسود . هي مبادئ تدعو اليها المسيحية والاسلام . فلا غرو اذا تعافح الاخوة وعاد اليهما بعد الظهور الذي غذاه التاريخ الضام والصفاء . وفي هذا التصديق خير للبشرية جمعاء وقوة تصدق تفشّي المبادئ المادية الإلحادية التي تؤول نهائياً الى استعباد لم يسبقه استعباد . فالدين لا يفرق . واذا ما تحجرت بعض المواقف التاريخية التي كان سببها خلافات سياسية وعقائدية مباشرة فعلى الفريقين أن يعودا اليوم الى الايمان الصحيح بالله يجعلها في سير موحد نحو غاية يصعب رفضا - وهي الله بالذات - كي يتما سوية في مصافحة وتعارف خدمة البشرية فيبتعدا عما يفصل ويفرق ويجمعا في ما يقرب إن دينياً وإن اجتماعياً .

وبعد ذكر عيسى بن مريم يجدر بنا ان نقف هنية عند مريم التي يحملها القرآن وقد اعلى مقامها فأقرّ بأنه لم يمسه رجل في ولادة ابنها وانها ارفع من كل نساء الارض وانها ولدت عيسى ذلك النبي المتعالي في اعماله وحياته . ولكن القرآن لم يفرق بين مريم اخت هارون التي يتكلم عليها في سورة مريم وتلك التي انجبت عيسى بصورة فاتنة . فراح المسلمون يجلّونها ويكرّمونها ويطلبون شفاعتها بشغوى ..

ولقد يعيش المسلم ايضاً بانتظار يوم الدينونة وهذا ما يجعله يتحسب لملاقاة ربه اذ تُجازى الأعمال الخيرة خيراً وتعاقب الأعمال السيئة شراً . ووضح القرآن سبل الحياة التي على المسلم اتباعها ليصل الى الهدف معلّمهُنّ التفسير فيدعوه الى الصلاة والزكاة والصوم وفي هذه الامور الثلاثة خلاصه اذ يعود الى ربه ويتفتح على قربه ويربّحه جسمه بالتضحية والصوم الى نسيان خيور الارض والتعالى فوق حطامها الى ما لا يزول فيظلّ اذالك في تفكير ووعي واجتهاد الى الأحسن .

هذه هي النقط الايجابية التي تستخلصها « الوثيقة » من الدين الاسلامي وترى فيها آمالاً في أن تعود كلّنا مانخير على التضامن الروحاني بين الأديان في العالم ضد الاخادية المتصاعدة وإقرار التيم الروحية في خدمة الانسان .

- ٥ -

نصّ القسم الثالث من « الوثيقة » : « اليهود »

« ان انجبع المقدس ، ينا يتفنى سر الكنيسة ، يتذكر الرباط الذي يربط شعب العبه الجنيد بأبناء ابراهيم .
فكنية المسيح تفر روح طيبة بأن ايمانها ودعوتها بتأملان حسب إرادة الله العبيقة الخلاصية في آباء العهد القديم ، في مربي والأنبياء وهي تعترف بان المسيحين ، وهم ابناء ابراهيم بالايان : تشلم دعوى الآباء ننسها وان خلاص الكنيسة يرمز اليه روسياً خروج الشعب افطار من ارض العبودية . ولذا فانه ليس باستطاعة الكنيسة ان تنسى أنها قبلت وحى العهد القديم من ذلك الشعب الذي تنازل الله واقام معه بعطف لا يصور العهد القديم وأنها نشأت من أصول الزيتية الخيرة التي عليها طمست زيتية الامم البرية . فالكنيسة تؤمن ان المسيح ، وهو سلاستنا ، صالح بعليه اليهود والأمم ويجعلهم واحداً .

والكنيسة تتذكر دائماً كلام بولس الرسول عن اليهود اقرابته الذين « لهم النبي واغجد والعمود والاشراع والمبادة والمواعيد ورؤساء الآباء ومنهم المسيح بحسب الجسد » (رومية ٩ / ٤-٥) ابن سررم البتول . انها تتذكر ايضاً ان من الشعب اليهودي ولد الرسل أسس الكنيسة وأعمدها وغيرهم تلاميذ كثيرين بشروا العالم بأنجيل المسيح .

ومع ان اكثرية اليهود لم يتقبلوا بالانجيل فان الله - حسب شهادة الرسول - لا ينهم على عطايه وعمل دعوتهم وهو يجهم من أجل الآباء .

والكنيسة تنتظر مع الأنبياء ورسول الامم الى ذلك اليوم الذي يعرفه الله وحده فيه اشعوب كلها تبهل بصوت واحد الى الله « وتبده بكثف واحنة » (مثنيا ٣ / ٩) .

ولما كان التراث الروسي المشترك بين المسيحين واليهود عظيماً فان هذا انجبع المقدس يريد ان يوصي ويساعد اتعارف والاحترام المتبادل بينهما والقدان يمان بالدروس الكتابية واللاهوتية وبالحدائق الأخوية .

وبينا انجبع يرذل بقوة الاحانات المصوبة لئاس ايها كانوا ، نانه يتذكر هذا التراث ويرثي ويرذل الحقد والاضطهادات ضد اليهود إن كانت في ما مضى او في اوقاتنا الحاضرة .

ولذا فعل الجحج ان لا يعلوا شيئاً ، لا في التعليم ولا في الوعظ ، يكون في قلوب المؤمنين سقداً على اليهود او ازدراء بهم وان لا يكون الشعب اليهودي تلك الامة المرذولة او للملوعة او قتالة

الاله . فالذي تم يوم تأم المسيح لا عبور ان نمت به الشعب المعاصر لتسبح ربناقل برهان أن نعت به الشعب الذي يمشي اليوم . فالكيفية علمت وتعلم ان المسيح تأم ومات تلامذة ايراداته المحبة لخلاس البشرية كلها . فكل الواعظين ادا ان يشروا بعليق المسيح كرمز نجاة انه الشاملة . وينبوع كل العم .

تتكلم الوثيقة بروح دينية صافية على علاقات المسيحيين باليهود وكأنها فقتت عن المفردات التي تدل اكثر ما تدل على قرابة روحية وصلات عميقة تتأصل في الايمان وفي تلك الرموز التي عاش منها الشعب اليهودي السنين الطويلة دون ان يعطيها حقيقة واضحة ثابتة والتي لا تزال تعيش منها الكنيسة اليوم وقد اعطتها قسمة ومعنى . وانها لتلح في التأكيد ان تلك القرابة هي رباط وثيق يربط شعب العهد الجديد بابناء ابراهيم وان ايمان ودعوة الكنيسة بتأصلان حسب إرادة الله العميقة الخلاصية في آباء العهد القديم في موسى والانبياء . ولذا فان الكنيسة اذا ما ارادت فهم نفسها اضطررت للعودة الى اصلها والى تلك الجذور التي تربطها بالشعب الذي مهد لحيثها السبيل مع ما في كلام المسيح الاله واعماله التي اودعها اياها من روح جديدة وآفاق واسعة وآمال روحية حسب قول القديس ايرناؤوس : المسيح جدد كل شيء بمجيئه .

فالكنيسة والشعب اليهودي يشتركان بالعهد القديم ولا أساس لكل محاولة يراد من وزائها اخراج اسرائيل من الكتاب المقدس . اذ ما نراه في الشعوب المعاصرة له من مؤسسات وآراء ومفاهيم تشبه ما نجده في اسرائيل ليتبيل أمام الروح التي تحيي كل ذلك في الكتاب المقدس دونما ريب . فليست الكلمات او تكاثر المفردات المتشابهة التي تجعلنا في حيرة فهذا لا يحمل العقل على الاضطراب . انما كل ما نجده من روحانية عالية في كلمات وآراء ومفاهيم اقتبسها الانبياء شكلاً للتعبير عن الوعي لتصبح وحاجة من نور علوي صاف . اللهم اذا كان العهد القديم دليلاً الى العهد الجديد بالمسيح . فانه اذا توقفت عند نفسه دون الاقتناع بضرورة التبدل ليظل مجموعة قوانين وشرائع متحجرة أمام العليق . فهناك دعوة شخصية تكوّن الصلة العميقة تشتمها في العهد القديم وتتوضح امامنا في العهد الجديد كصلة بثرة مع الله في المسيح يسوع . فاسرائيل والكنيسة يشتركان كشعبين بالبنوة تلك . ولكن ما اجمل ذلك التعاقب بينها الذي يعبر عنه بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومة إذ يفسر لنا سر هذا التبدل الى ان يجمعنا في محبة الهية لا نهاية لها .

ولقد نفهم ذلك لا بأن ننفي عن كل ما صدر في اسرائيل حقيقته ووضعته انما لم تكن تلك الحقيقة الا في المسيح العتيق . وعندما اتى المسيح وسار نحوه

اولئك اخلاصون الذين ارادوه المأ ومعبوداً فنتيهم تكلمت تلك الحقيقة الموجودة منذ البدء والتي تدلّ على وجود المسيح ووجود الكنيسة نفسها فيها . ففي كل زمان ومكان . كما يعلم القديس توما الاكوييني^(١) : كان للعهد الجديد من هم له . أو ليس الايمان بالمسيح ، لا الايمان بالله فقط ، الذي خلص ابراهيم . فالمسيح اذ هو النباية والياء المطلقة لكل شيء فكأنني به حاضر في طيات التاريخ يوجه وينظم وبهذا فهو ايضاً الألف والاساس لكل شيء . فيه يتحد اليهود والوثنيون لمخطوئا وثيقة ولادة الكنيسة اذ من الاثني صنع شعباً واحداً : من الاثني جبل انساناً جديداً واحداً ، من الاثني كون جسداً واحداً وجمع الاثني في روح واحد^(٢) .

ونسع بولس يردد ايضاً : « العلة الله رفض شعبه . حاشي ... واما من جهة الانتخاب فهم اُجباء من اجل الآباء لأن مواهب الله ودعوته هي بلا ندامة »^(٣) .

وعلى هذا المتوال فخروج الشعب اليهودي من ارض العبودية يرمز الى خلاص الكنيسة من حيل العالم الذي يحاول قتلها فتظل أمينة وقد قوتها كلمة الله التي استلمتها منه دليلاً على مساعدة الهية تساندها في سيرها إلى هدف يجعلها مكتملة رسالة واحدة جذورها تغور في ارض الله الى ما هنالك من ايام ودهور . فمن مريم البتول ولد المسيح الاله وقد اعطته نفسانية بشرية شبيهة بنفسانيتنا وأحاطته بعناية جعلت من يسوع ابن بلده ووطنه يحمل معه وفيه نور اهله واقربائه ولكنه يعطي من فيض حكمته العلوية سر البقاء لكل ما يصنعه . وهناك الرسل الذين انحدروا من سلالة يهودية وهم اعمدة الكنيسة كما يسميهم بولس . غمّسوا الرسالة المسيحية في دمهم فاستشهدوا للمسيح وصار ذلك الدم بذوراً لولادة مسيحيين آخرين . وغيرهم كثيرين ممن ساروا في اوائل الكنيسة الى ملاقاته ذلك النبي الذي أتى ليتم في نفسه كل النبوات ويعبر بذلك عن رسالته الالهية .

...

واذا ما عيّرنا اليهود بموت المسيح فلا نعيدهم ، تقول الوثيقة ، كسحب سخط عليه الله من جرّاء ذلك وكان التاريخ يحمله وصمة الصلب . فهناك زمرة من الاشقياء طاعوا أرباب الحكم في تلك الايام وارتكبوا الجريمة وما هم

(١) I^o II^o, q. 98, n. 1. ad 4

(٢) أنس ١٤/٢ - ١٨ .

(٣) روية ١١ / أو ٢٨ .

في ذلك الا ممثلو الانسانية الخاطئة جمعاء . فآدم منذ ان ارتكب الخطيئة الأصلية التي جنحت بالطبيعة البشرية الى طرق ملتوية هو صلب المسيح وابتاؤه كلليم الذين ينوارثون الخطيئة الأصلية ويرتكبون الخطايا يمثلون على الجملجة بزمرة الاشقياء أولئك . فالمسيح اذا قتله اليهود هو هو بتقدمة باطنية عفوية ارادية وبحب غير متناد لخلاص البشر قدم نفسه عن الاسان الخاطي ليهجو الخطيئة ويساعد البشرية بذلك الدم المسفوك - عنوان العمة والخلص - الى العودة الى الطريق السوي . فلا الشعب اليهودي : معاصر المسيح - تقول الوثيقة - ولا الشعب اليهودي الذي يعيش اليوم قتل المسيح كشعب . وزمرة الاشقياء الذين ارتكبوا الجريمة كانوا من ذلك الشعب الذي اختار ابن الله ان يولد من صلبه .

لقد ردّد هذا مراراً في جلسات المجمع المسكوني القاتيكاني الثاني كل الآباء الذين تطرقوا لهذه الوثيقة والحوا بان لا توصف تدخلاتهم تلك الأروحياً ودينياً لا سيامياً . فان العالم اليوم يتطور بسرعة عظيمة . ومن الخير ان يعود الانسان الى فحص ضمير وتبكيك نفس على امور حجرتها التاريخ . أفلا نستطيع ان نجد نظرتنا المعتاد الى هذا او ذاك . اوليس من الحرم بلرجة ان لا يعود باستطاعة الانسان ان يصلح خطأ ارتكبه في ما مضى .

...

ولذا فالمجمع المسكوني يرذل كل اضطهاد وكل هزة بقسوم وبشعب من شعوب الأرض ويطلب الى ابناء الكنيسة الكاثوليكية ان يحترموا الشعب اليهودي وأن لا يضرروا الحق والازدراء . فعليهم ان يخلتوا جو التعارف والاحترام المتبادلين وذلك على صعيد الدروس الكتابية واللاهوتية والمخادئات الأخوية . وبذلك تقوم تلك المحبة التي بدونها لن تستطيع البشرية ان تعيش بصفاء وسلام .

...

وهذه الدعوة الى المحبة بالبراهين التي سبقت ليست جديدة في الكنيسة . انما على الكنيسة نفسها ايضاً في ايماننا ان تتجدد فتغير لهجة صلواتها ومجادلاتها ومكالماتها مع الناس - وهذا ما صنعه يوحنا الثالث والعشرون وبولس السادس المالك سعيداً - وهي التيمة على ما في البشرية من قيم انسانية روحية تدافع عنها وتعلن للملأ ارادتها الجبارة في التأثير على سير العالم نحو غد افضل أخوي وروحاني .

- ٥ -

نصّ خاتمة « الوثيقة » : « الأخوة الشاملة بعيدة عن أية تفرقة عنصرية »

« لا نستطيع ان ندعو الله أب الجميع اذا رفضنا أن نعامل كاخوة بعض الناس الذين سلفهم الرب على صورته . فسلطة الانسان باهه الآب وصلته بالانسان أشبه ترتبطان بشرة : فن لا نبع لا يعرف الله .

فلا اساس إذا لأية نظرية أو موقف يفرق بين رجل وآخر، بين شعب وآخر و ما ينشئ بالكرامة الانسانية والحقوق الناجمة عنها .

فليستع الخسج وبخاصة المسيحيون عن كبر تفرقة بين البشر وبين كل حور بسبب العرق او اللون أو الطبقة الاجتماعية أو الدين . وانجسج ، ومنه اذ ينتهي أثر الرسولين القديسين بطرس وبولس ، يدعو بالخلاص المسيحيين كي يكون « تصرفهم بين الأمم جيداً » (١ بطرس ١٢/٢) قدر المستطاع لكي يحافظوا على السلام مع الخسج فيكونوا حسناً أبناء الآب الذي في السماء .

بعد ان تكون الوثيقة وصلت بنا الى هذه النقطة من البحث والاشارة الى ما يجب تميمه بغية التقارب بين الشعوب تقف حنفا فتوسع الآفاق وتوجه الى الانسان كإنسان وتطلب اليه ان يحترم أخاه الانسان وان لا يرضى بتفرقة تتأتى عن العرق او العنصر او اللون . وما ذلك إلا لأن البشر كلهم من صنع الله اب الجميع ولأن في كل انسان صورة الله ومثاله . ولكل واحد حقوق وواجبات لو استوعبها الكل لصارت اساساً لبناء عالم يعيش في محبة صادقة وأخوة . ولكن « من لا يحب لا يعرف الله . »

نرى كيف تضع الوثيقة صلة وطيدة بين المحبة والمعرفة . فلا يكفي ان تكون محبتنا كلامية عابرة . ونحن اذا ما أردنا ان نعرف الله علينا ان نحب مع كل ما في هذه الكلمة من قوة وواقعية . فلا يجوز لنا ان نكذب فنقول : إننا نحب الله ولا نُعطي قلبنا للانسان اخيتنا . هذه اقوال يوحنا الرسول في رسالته وهذا التعليم تظل عليه الكنيسة، ما دام فيها حيوية لتردد ان الله محبة ومن اراد ان يتبعه عليه ان يحب قريبه وقد اعلن بولس الرسول ان محبة القريب هي علامة محبة الله . والمحبة شاملة لاستثني احداً وفيها ما قاله ايضاً بولس في ذلك النشيد الرائع في رسالته الى اهل كورنتس الاولى الفصل الثالث عشر : « المحبة لا تحسد ولا تنباهي ولا تنتفخ . . . ولا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق . » ان الحياة الدنيا تدلل على ما في الانسان من حسد وحقد ، من انانية وكبرياء ، إن على الصعيد الفردي او الجماعي . قائم يعد الى ضميره وإلى ربه فكيف يستطيع اذآك ان يتعالى فوق التفرقة العنصرية التي تهدم كياناً روحياً وتمحو من الانجيل ومن الضمير اننا أبناء الآب الذي في السماوات . ولذا فان التفرقة العنصرية تلك لتنتج الجور والظلم والاستهتار بكرامة

الانسان وحقوقه وتترك العالم على فوهة نار تندلع كلما تجاور الانسان حدوده بهضم حقوق تعود لأخيه الانسان . والكنيسة أم السلام والحفاظة على السلام تدق دوماً ناقوس الخطر لا لأنها تخاف على نفسها ولكن لأنها تحمي الانسان من اسباب البناء وتريد له سلاماً وطمانينة كي يعيش حياته الأرضية في مأمن من كل حرب وفي عودة مستمرة الى الخلق .

ولقد كلم بولس السادس المالك سعيداً رؤساء الكنيسة الروحانيين وبواسطتهم العالم كله في اواخر نيسان الماضي في رسالة عامة وحبها اليهم بمناسبة حلول شهر ايار فقال : « ان تفشي الاضطرابات وعدم الاستقرار التي تعانيها أمم عديدة يشكلان الباعث الثاني لرسالتنا هذه . ان خير السلام الذي لا يعلو خير هر اليوم في خطر شديد . فهناك مشاحنات متزايدة بين الشعوب في مناطق مختلفة من المعمور تتعاقم بصورة مخيفة وان امثلة الحربين الاوليين اللتين أسالتنا الدماء الغزيرة في العالم لم يتعظ بهما البشر . فتراهم يتسلحون من جديد - وفي هذا الخطر العظيم - ولا يابتهون للوسائل التي تزيل من النفوس روح البوتر والفرقة ، ما يجعل بعض الشعوب تعيش تحت كابوس ألم لا يوصف بنجم عن اضطرابات وحروب عصابات وخصومات مسلحة تنع يوماً أثر يوم وتتأزم منذرة باندلاع حرب رهيبة .

« وحيال هذه الاخطار المروعة التي تهدد العيلة البشرية فاننا ، ونحن واعون ، واجبتنا كراخ اعلى ، نعلن قلقنا وخوفنا من ان تقلب هذه الخصومات حرباً دموية . « ولهذا : فاننا نتوسل الى الحكام وولاة الأمور الأ يرفضوا توقي البشرية جماء الى السلام وان ينتشوا عن الوسائل التي تؤمن سلاماً هر الآن في تدهور . فلا يجمعوا عن توطيد الصلات والمفاوضات بين البشر الى اي طبقة او رتبة انتموا ، وفي اي زمن ووقت كانت ، وان يمنعوا استعمال السلاح الخطر وما ينتج عنه من مصائب وخيمة ، زمنية وروحية وخلقية ويعتمدوا الطرق التي هي طرق الحق ويفتقروا كل توقي صادق الى العدل والسلام وليؤيدوه حتى يجعلوه ذا فعالية وليشتوا بهدف الارادة الحسنة الخيبر حتى يستقر العدل والحق .

« آء ! فاننا نجاء وضع مؤسف كهذا : نلمس بحزن شديد ان احترام طابع الحياة البشرية المقدس والذي لا يجوز انتهاكه ، مفقود غالباً : وان هناك اساليب معتمدة تعاكس الروح الخلقية وتقاليد الشعوب المتعددة .

« فلانندوحة لنا اذاً من ان نرفع الصوت عالياً لحماية الكرامة الانسانية والمدنية المسيحية وشجب طرق الارهاب والعنف وحرب العصابات وحجز الرهائن والانتقامات من شعوب عزلاء . فهذه الجرائم كلها تؤخر تطوير معنى

العدالة والانسانية وتوغر صدور المتحاررين غيظاً وتستطيع ان تسد الطريق
 أمام النيات الخيرة المتبادلة وتجعل المفاوضات صعبة بين الدول ، تلك
 المفاوضات التي اذا ما تمت بروح صادق مستقيم قادت الى تفاهم ايجابي .
 « ومن الجلي الواضح لديكم : ايها الأخوة الاجلاء : ان هذه المشاغل
 تقلقنا في انصميم : لا للآرب خاصة : بل لان معانا الوحيد هو حماية من
 تحمل بهم هذه الضربات والعمل على الازدهار الحقيقي لجميع الشعوب » .

...

وعلى هذا الأمل وفي هذا الجو من الاستقامة الباطنية نستطيع ان ندعير
 الله اب الجميع فلا يعود بمقدور اسان ان يناجي الله اباه التم بدع الاسار
 اخاه ويعامله هكذا .

هذا ما يعلمه آباء الكنيسة على ممر الاجيال وهذا ما اراد اجمع المسكوني
 انقائيكاني الثاني ان يعيده الى الاذهان بسلطته الروحية المطلقة والمستندة من
 مؤسس الكنيسة الالهي السيد المسيح الكلمة المتجسد .

